زينب بنت جحش رضي الله عنها

هي زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر الأسدي حليف بني عبد شمس، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمت النبي ﷺ، وهي أخت حمنة، من المهاجرات الأول تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وفيها نزلت: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، وتزوج النبي ﷺ امرأته، وانتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه بحيث يتوارثان إلى غير ذلك، وكانت زينب رضي الله عنها من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً رضي الله عنها، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة عشرين[1].

ومناقبها رضي الله عنها نطق بها الكتاب والسنة:

1 - شهادة الرب - جل وعلا - لها بحقيقة الإيمان. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فالمراد بالمؤمنة في هذه الآية زينب رضي الله عنها.

قال السيوطي: "أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية، فخطبها قالت: لست بناكحته قال: بلى فانكحيه، قالت: يا رسول الله، أوامر في نفسي فبينما هما يتحدثان، أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً وقال: **«نعم»** قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي"[2].

2 - مما أكرمها الله وشرفها به أن تولى بنفسه تزويجها بنبيه من فوق سبع سموات

---

(1) انظر ترجمتها في الطبقات الكبرى لابن سعد 101/8 - 115، المستدرك 23/4 - 25، حلية الأولياء لأبي نعيم 51/2 - 54، الاستيعاب على حاشية الإصابة 306/4 - 310، أسد الغابة 463/5، سير أعلام النبلاء 211/2 - 218، البداية والنهاية 115/7، التهذيب 420/12، الإصابة 307/4 - 308، مجمع الزوائد 246/9 - 248، كنز العمال 700/13 - 704.

(2) الدر المنثور 609/6، تفسير ابن جرير 11/22، تفسير ابن كثير 463/5.

بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وانقضت عدتها، وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ حيث كانت تقول لهن: زوجكن أهليكن وأنا زوجني الله من فوق سبع سموات.

فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال: جاء زيد بن حارثة يشكوا "فجعل النبي ﷺ يقول: **«اتق الله وأمسك عليك زوجك»** قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله - تعالى - من فوق سبع سموات".

وروى أيضاً بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وكانت تقول: "إن الله أنكحني في السماء"[1].

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: **«فاذكرها علي»** قال: فانطلق زيد حتى أتاها، وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن... "الحديث[2].

وقد حكى الله - جل وعلا - تزويجه إياها بنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: "فزوجها الله - تعالى - بنبيه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول: زوجكن أهليكن وزجني الله من فوق عرشه"[3].

---

(1) الحديثان في صحيح البخاري 281/4.
(2) صحيح مسلم 1048/2 - 1049.
(3) سير أعلام النبلاء 211/2.

قال الحافظ في بيان قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ووقع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم. وقد أخرج الترمذي[1] من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت: "لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]،- يعني بالإسلام - : ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] بالعتق: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] إلى قوله: ﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وأن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وكان تبناه وهو صغير، قلت: حتى صار رجلاً، يقال له: زيد بن محمد. فأنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، قوله: ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] [2].

3 - ومما حظيت به وكان تكريماً لها من ربها أن آية الحجاب، نزلت حين تزوجت بالنبي ﷺ، فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال: "أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنع طعاماً، ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فضرب الحجاب وقام القوم"[3].

فزواجها رضي الله عنها بالنبي ﷺ كان السبب في نزول آية الحجاب.

4 - روى الإمام مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً»** قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً

(1) سنن الترمذي 31/5 - 32.
(2) فتح الباري 524/8.
(3) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري 527/8.

قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق"[1].

وروى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: **«أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً»** قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة، قال: وكانت زينب امرأة صناعة اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتصدق في سبيل الله عز وجل"[2].

قال النووي رحمه الله تعالى: "معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ومنقبة ظاهرة لزينب، ووقع هذا الحديث في كتاب الزكاة من البخاري بلفظ متعقد يوهم أن أسرعهن لحاقاً سودة، وهذا الوهم باطل بالإجماع"[3].

5 - روى الإمام مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها من حديث طويل، وفيه قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب إلى الله تعالى ما عدا سورة[4] من حد كانت فيها تسرع منها الفيئة[5]... الحديث[6].

---

(1) صحيح مسلم 1907/4.

(2) المستدرك 25/4 وقال عقبه: هذا حديث على شرط مسلم، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم 8/16 - 9.

(4) ما عدا سورة من حد: أي: شدة الخلق وثورانه. انظر النهاية في غريب الحديث 420/2، شرح النووي 206/15.

(5) الفيئة: الرجوع ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب، تسرع منها الرجوع أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه، شرح النووي 206/15.

(6) صحيح مسلم 1891/4 - 1892.

فلقد وصفت عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين زينب بنت جحش بصفات عظيمة كلها جامعة لمكارم الأخلاق وأصول الفضائل التي طابعها البر والتقوى، وكل صفة منها منقبة ظاهرة لأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها.

كما وصفتها عائشة رضي الله عنها وصفاً عظيماً في حديث الإفك الطويل حيث قالت رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري: **«ما علمت؟ أو ما رأيت؟»** فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب[1] لها، فهلكت فيمن هلك[2] هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري قالت رضي الله عنها: "وكانت عائشة تقول: أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً، وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك"[3].

ففي هذين النصين فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين زينب رضي الله عنها.

قال الإمام الذهبي: "ويروى عن عمرة عن عائشة قالت: يرحم الله زينب لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف إن الله زوجها ونطق به القرآن، وإن رسول الله ﷺ قال لنا: **«أسرعكن لحوقاً أطولكن باعاً»** فبشرها بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة"[4].

ومناقبها رضي الله عنها التي وردت بها الأحاديث والآثار كثيرة جداً رضي الله عنها وأرضاها.

* * * * *

(1) وطفقت أختها حمنة تحارب لها "أي: جعلت تتعصب لها، فتحكي ما يقوله أهل الإفك" شرح النووي 113/17.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي 113/17.

(3) صحيح البخاري 168/3.

(4) سير أعلام النبلاء 215/2.